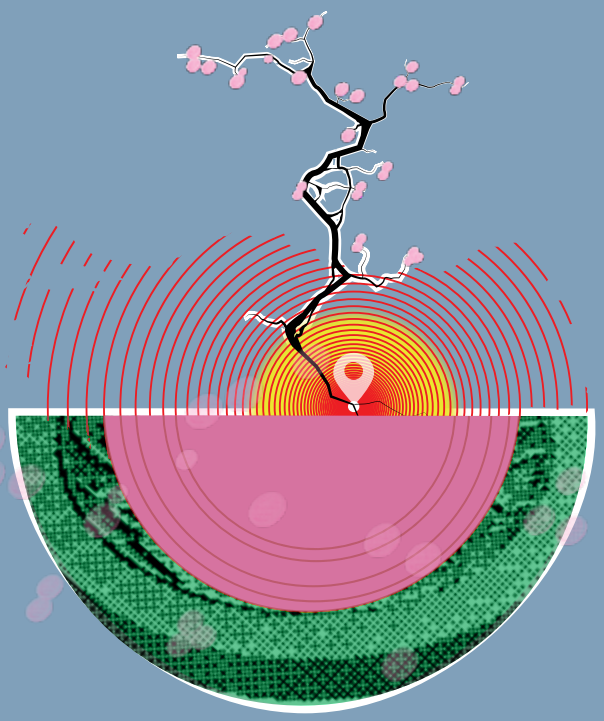

CHANGEMAKERS

تحويل الأزمة إلى فرص في شمال غرب سوريا

"Changemakers" مجموعة تدافع عن حقوق المرأة تأسّست في شمال غرب سوريا في العام ٢٠١٤ استجابةً لأزمة اللاجئين في أعقاب النزاع في سوريا. بعد الزلزال الذي ضرب جنوب تركيا وشمال وغرب سوريا في ٦ شباط/ فبراير ٢٠٢٣، بدأت "Changemakers" تعمل في مجال الاستجابة للأزمات من خلال منحة طوارئ قدّمها صندوق درّية النسوي. وفّرت المجموعة دعمًا نفسيًا اجتماعيًا وأشكالًا أخرى من المساعدة لأكثر من مئة امرأة وخمسة فرق من المتطوّعين المتأثّرين بالزلزال.

تعدّ القدرة على الصمود ضروريّةً لتخطّي الأزمة؛ لكنّ إحداث التغيير وسط مجموعةٍ من الأزمات وأكوامٍ من الركام يتطلّب مستوىً فريدًا من الشجاعة والالتزام. بإعطاء الأمل وإتاحة الإمكانيات للنساء السوريّات في شمال غرب سوريا، وغالبيتهنّ لاجئات مهجرّات من ديارهنّ يعانين من كافّة أنواع الخسارة والحزن والمصاعب، لا شكّ في أنّ " Changemakers" رفعت سقف طموحاتها ونجحت في بلوغه.

تقول سعاد، مؤسّسة ومديرة "Changemakers": "منذ البداية، أردنا تغيير السلوكيات السلبية التي تؤثّر على النساء من مختلف الخلفيات وذلك على الصعيد الاجتماعي والثقافي والسياسي. هي تحدّيات كبيرة لا يمكننا التغلّب عليها إلا إذا جعلنا أصوات النساء مسموعةً.
بالنسبة إلى سعاد، يتمثّل أحد الأسباب الأساسيّة لذلك في إنكار المجتمع للعنف ضدّ المرأة وهو جزءٌ كبيرٌ من "الثقافة والتقاليد". فتقول: "رأيت نساءً يعانين في مخيّمات اللجوء ويتحمّلن وذر الحرب والأزمات والاستغلال على يدّ جميع أطراف الصراع. تعهّدت بالعمل الجادّ مع منظّمات ومجموعاتٍ أخرى إلى أن نتوصّل إلى حلٍّ جذري للمسألة."

لسعاد قصص ملهمة كثيرة تخبرها عن النساء اللواتي نجحن رغم كلّ الصعاب في تغيير مصيرهنّ وبنين حياةً أفضل لهنّ ولأحبائهن. فشاركتنا قصّة عُلى: "عُلى أمّ لثلاثة أطفال تبلغ عشرين عامًا. اعتقِل زوجها في سوريا في العام ٢٠١٣ وهو لا يزال في السجن. تعدّ عُلى من الناحية العمليّة أمًّا عزباء. التحقت عُلى بمركز تدريب "Changemakers" لتتعلّم الخياطة وتنتج دخلاً لعائلتها. فبرعت في ذلك وأصبحت هي نفسها مدرّبةً! لكنّها لم تتوقّف عند هذا الحدّ إذ واصلت تعليمها الثانوي والتحقت بصفوف تعليم اللغة الإنجليزية حيث تفوّقت أيضًا، قبل أن تشارك في ورش عمل حول المراقبة والتقييم! عُلى قوّة لا تُقهَر".

عندما سُئلت عُلى إذا كانت تنوي التوقّف عن العمل في حال أطلِق سراح زوجها، أجابت: "من المستحيل أن أعود إلى الوراء!". تشجّع مشاهدة لحظات القوّة والعزم هذه المُغيّرة للحياة سعادَ وفريقها على مواصلة استحداث فرص العمل والتعليم وتوفير الدعم النفسي والاجتماعي الضروري للنساء والمتطوّعين، خاصّةً في أعقاب الزلزال الذي ضرب تركيا وسوريا في العام ٢٠٢٣ ودمّر منطقتهم.

عندما بدأت سعاد وفريقها العمل، انضوى مشروعهما، الذي أُطلق عليه آنذاك اسم "ياسمين كفرنبل"، تحت رعاية "المجلس المحلّي" في المنطقة وهو كناية عن مجموعة رجالٍ من ذوي العقليّات الأبوية. تقول سعاد: "لقد همّشونا وازدروا عملنا، وعندما انتهت مدّة المشروع، أخذوا ماكينات الخياطة والمولّد الكهربائي ليحوّلوا مشغلنا إلى مصنع يدرّ الأرباح". في ذلك الوقت، قال لهنّ الرجال حرفيًا: " مكانكنّ يا نساء في المنزل". كصانعات تغيير، لم يكن لسعاد ولفريقها أي استعداد للاستسلام. فجمعن تبرّعاتٍ متناهية الصغر من بعضهن البعض لتغطية عمليّاتهن الأساسيّة، مثل تكاليف استئجار المكاتب والإنترنت والمولّدات. كنّ مستعدّات لانطلاقةٍ جديدة. تقول سعاد بفخر: "أوّل شيء فعلناه هو تغيير اسمنا من "ياسمين كفرنبل" إلى "Changemakers"، وها نحن هنا".